طبق الاصل

مؤيد نعمة

إسرائيل والولايات المتحدة وعصر الإرهاب

بقلم - روجر كوهين

خلال فترة ولايتها الاولى آمنت إدارة (بوش) ان الطريق إلى القدس يمر عبر بغداد. وحتى قبل احداث الحادي عشر من ايلول وان كان الأخص ان نقول بعدها ضربت هذه الادارة ما اصطلح عليه العملية السلمية عرض الحائط حيث نظرت إلى تلك العملية على انها مصطلح مرادف او رديف لثرثرة شرق اوسطية عقيمة. وكان المنهج الجديد صارماً: ان التحول الديمقراطي الاقليمي الذي يبدأ من العراق ويمتد للسلطة الفلسطينية الموصومة بالفساد والارهاب وحده الكفيل بفتح باب السلام ، امام تسوية اسرائيلية فلسطينية.

ولكن مع رمز هذا الفساد (ياسر عرفات) الذي يرقد الآن فاقداً الوعي في مستشفى في باريس(ترجم الموضوع قبل موت عرفات) ومع غوص العراق في الصراع وضغط الاوروبيين لصدور بادرة من (بوش) الجديد وصور العنف في غزة التي تغذي مشاعر معاداة الامريكان في العالم الاسلامي كل هذا ادى إلى طرح سؤال الاسبوع الماضي كما يلي: ألم يحن الوقت بالنسبة للإدارة لتعديل موقفها أو اسلوبها تجاه اسرائيل وان نضع السلام في القدس اولاً؟

يبدو ان هناك مناسبتين حصلتا في آن واحد. مرحلة ما بعد عرفات والولاية الثانية لـ(بوش). ووعود كليهما بشأن الشرق الاوسط وما خلفه من حرب على الاهاب قد تتلاشى وتزول ان لم تؤد الازمات المختلفة إلى سياسات مختلفة.

وعلى العموم ومن الناحية التاريخية فان احتضان (بوش) غير المتحرج لاسرائيل (إرييل شارون) يمثل شذوذا. فانبثاق الدولة الصهيونية في ١٩٤٨ صاحبته ازدواجية في القبول في واشنطن حيث وقف وزير الخارجية (جورج مارشال) ضد الاعتراف الفوري الذي اعطاه الرئيس (هاري ترومان)) لاسرائيل.

ثم جاء الدعم السوفييتي للانظمة العربية الراديكالية اثناء الحرب الباردة فأزال بصورة بطيئة عدم التيقن الامريكي حيث حل محله دعم فعال لاسرائيل. غير ان المساعدات لم تكن غير مشروطة.

وبعد حربي عام ١٩٦٧ و ١٩٧٣ اصبحت الولايات المتحدة الوسيط الاكثر صدقية في مسألة "الارض مقابل السلام" وهو موقف تطور خلال فترة رئاستي (بوش الاب) و(كلينتون) ليشمل اجراءات تستنهض الطرفين كليهما. وربما يكون من المحتم ان تعود عقارب الساعة إلى الوراء لتكرار تلك الحالة.

غير ان حجج الوقوف ضد أي تغيير في السياسة تظل قوية وتستند اول ما تستند إلى ان المنهج الحالي ناجح وان هجمات الحادي عشر من أيلول غيرت العالم وعرضت الولايات المتحدة بصورة مشتركة للهجوم والضرر والى ما اطلقنا عليه هما مشتركاً لتحطيمه.

وبعد ثلاث سنوات قام رئيس الوزراء (شارون) وبدعم شديد من (بوش) بكبح العنف الفلسطيني فأهلك معظم قادة حماس واوضح ان طريق الحل العسكري يقود الفلسطينيين إلى طريق مسدود. وحتى قبل انهيار صحة عرفات فقد ادى حكمه إلى نفس النتيجة وهو ما أثار جدلاً داخلياً حول اسلوب حكم وقيادة الفلسطينيين.

اما المؤيدون المحافظون لـ (بوش) فقد استهزأوا بالاقتراح الذي احتضنته العواصم الاوروبية والعربية والذي يقول ان أي انحدار باتجاه اسرائيل والفشل في التحرك نحو تسوية قد يشكلان عوامل فريدة لإذكاء التطرف المناهض للأمريكان الذي يولد في النهاية الإرهاب.

ويقول (ماكس بوت) باحث كبير في مجلس العلاقات الخارجية في (نيويورك): أنه من الوهم التصور، ان ثمة تغييراً في سياسة الشرق سيؤدي إلى احداث اثر على الارهابيين" ثم يضيف قائلاً: لسنوات عديدة ركز (بيل كلينتون) وكأنه ناعور على التسوية الاسرائيلية الفلسطينية فهل منع ذلك بن لادن من تخطيطه لتدميرنا؟

ان هؤلاء الناس يريدون إزالة اسرائيل من الوجود وعليه فليس من سبيل للتكيف معهم".

وفي ضوء وجهة النظر هذه ربما ضرب (بوش) و(شارون) عرض الحائط بالعملية السلمية ولم يقيما لها وزناً غير انهما حققا قدراً من السلام أو في الاقل هدوءاً سلمياً نسبياً. ويذهب المحاججون إلى القول إن (بوش) بتركيزه على تغيير الانظمة التي جعلت من نزعة كره اسرائيل غطاءً تبعد به الانظار عن مشكلاتها الداخلية.

ومهما كانت التعديلات التي سيجريها (بوش) على طاقم حكومته بولايته الثانية فإن هذه الحجج ستظل ذات ثقل ليس أقل من انها وجدت لها صدى في اعراف ومصطلحات السياسة الداخلية.

وقد يخامر (بوش) ميل شخصي للاستجابة إلى اصرار رئيس الوزراء البريطاني (توني بلير) في رسالة التهنئة بعد الانتخابات بأن السلام الاسرائيلي الفلسطيني "وهو التحدي الفريد الاكثر الحاحاً في عالمنا اليوم". غير ان مشهد (بوش) السياسي الخاص به- الذي اكتمل بالتبشيريين المسيحيين لاسرائيل واليهود الذين صوتوا له في (فلوريدا) يختلف تماماً عن المشهد السياسي لحليفه البريطاني.

ومع ذلك فإن تصادف قيام إدارة ثانية لـ (بوش) مع تغيير حتمي في القيادة الفلسطينية على ما يبدو قد جعل من تعديل دور امريكا في الشرق الاوسط محتماً.

وقال (بوش) في الخطاب الذي ألقاه في الرابع والعشرين من حزيران وهو يطرح حل الدولتين الذي اصبح يعرف بـ(خارطة الطريق) من اجل تحقيق السلام ومن اجل اقامة دولة فلسطينية لا بد من قيادة مختلفة. وإني ادعو الشعب الفلسطيني لاختيار زعماء لا يساومون على قضية الارهاب.

ويبدو ان الحل لمسألة القيادة هذه او في الاقل اجراء تغيير قد اصبح وشيكاً.

أما على مدى السنوات القلائل الماضية فقد اعاق الولايات المتحدة تناقضان: هما عدم الاعتراف بياسر عرفات كزعيم دولة وفي نفس الوقت القيام بالدور النهائي لزعيم الدولة- وهو التنازل لمصلحة قيادة اصغر سناً.

وعليه فليس من المدهش ان لا يحدث أي شيء في رام الله.

ويقول (جوناثان إيال) خبير بريطاني في السياسة الخارجية" لاح الآن في الافق طريق جميل امام الولايات المتحدة لترتبط ثانية وعلى (بوش) ان يحاول التأكد من ان الفلسطينيين الصحيحين يتسلمون السلطة وان الاصلاحات الاقتصادية والادارية في الضفة الغربية وغزة تدفع نحو الامام".

اما من هم هؤلاء الفلسطينيون فلم يتضح بعد. ويحتمل ظهور فوضى بصورة محتمة إذ قد تسير كل من غزة والضفة الغربية في طريقين مختلفين ويمكن ان يصبح للجماعات المتطرفة اليد العليا. وقد تكون بداية هذا الهرج والمرج مع ظهور السؤال المحير حول أين يدفن عرفات (وتباً له من ثمن يا قدس!).

غير ان هنالك احتمالات غنية ومتنوعة في جعبة رئيس الوزراء (أحمد قريع) ورئيس الوزراء الاسبق (محمود عباس) ومدير الامن السابق (محمد دحلان) والفلسطيني المعتقل المفضل (مروان البرغوثي). كما ان الحاجة لمساعدة امريكية لتنظيم انتخابات فلسطينية السنة القادمة تبدو ملحة. وبدون تصويت كهذا تظل شرعية القائد الفلسطيني منقوصة تماماً كما هو حال شرط الاستقرار لاي انسحاب اسرائيلي مخطط له من غزة.

غير ان انخراطاً كبيراً في السياسة الفلسطينية لن يحقق الكثير دون اجراء مراجعة للسياسة تجاه اسرائيل. وعندما بدأ (شارون) عام ٢٠٠٣ وكأنه عثر على محاور فلسطيني معتدل وهو السيد (عباس) الذي احتضنه (بوش) فإنه (أي شارون) لم يبذل الا القليل او لا شيء بالكامل لمساعدة رئيس الوزراء الجديد وهو ما اظهر تفضيلاً لسياسة تحدها الاجراءات الاسرائيلية (كبناء الجدار الفاصل مثلاً) على المفاوضات.

ويقترح السيد (عبد المنعم سعيد) مدير مركز الاهرام للدرسات الاستراتيجية في القاهرة ان يتوجه (بوش) إلى (شارون) ويطرح القضية بهذا الشكل: لقد وقفنا يا (أرييل) وحان الوقت لك الان ان تساعدنا فالمعتدلون الفلسطينيون لن يفوزوا ما لم تهيأ لهم الفرصة الحقيقية للتفاوض على تسوية وهذا في مصلحتك حيث دفعنا دعمك في هيئة مقت تخلل العالم العربي وعليه فمن مصلحتنا ايضاً اعطاء دفعة لذلك نحو الامام.

غير ان السيد سعيد أضاف قائلاً: عندما اتبصر في احتمال كهذا اشعر احيانا وكأني في حلم يقظة ولا اعتقد ان (بوش) يدرك ان ٥٠٪ في الاقل من الكره لامريكا مرتبط بـ(اسرائيل) فليس لامريكا من تاريخ استعماري في هذا الجزء من العالم. انه دعمها المشروط لاسرائيل ذلك الذي يضر. ان الدعم الامريكي (لاسرائيل) يظل سراً غامضاً بالنسبة للعرب كما يحدث الان في اوروبا جانحة اكثر نحو احتضان مأساة الفلسطينيين من الحرب لمصلحة شعب يهودي متجاسر او متطاول يعيش على ارض فضية في ديمقراطية شرق اوسطية عزلاء. والحقيقة انها لميزة مثيرة في تاريخ الصراع ان تبدأ بفرنسا باحتضان اسرائيل في الخمسينيات حين احجمت امريكا ثم انحسر دعم فرنسا حين اشتد دعم امريكا.

ويكمن وراء التحول عوامل عدة من بينها المغزى الذي لعبته المحرقة النازية في الحياة الامريكية وتركة الحرب الباردة ثم تأثير الجالية اليهودية المتزايد في امريكا ثم يأتي أحدث هذه العوامل وهو احساس برص الصف في وجه صراع مشترك في اعقاب صدمة هجمات الحادي عشر من أيلول.ان هذه الاسس التي شكلت دعم امريكا لـ(اسرائيل) ستستمر في اغلب يقين بما يفوق حسابات الثمن حتى مع محاولة اسامة بن لادن الشهر الماضي تبرير هجماته بالاشارة إلى "ظلم وطغيان التحالف الامريكي الاسرائيلي ضد اهلنا في فلسطين".

وبعد ان قلنا ذلك يبقى السؤال المطروح اليوم: "كيف يقاس حجم الدعم إلى اسرائيل؟ هناك اشارات صغيرة تراقب عن كثب في هذا المنعطف المحوري. وعلى افتراض ان عرفات سيتوفى فإن هناك قضيتان حاسمتان: ما الموقف الذي تتخذه الولايات المتحدة حول رغبة ياسر عرفات في ان يدفن في القدس؟ ومن ترسل الولايات المتحدة لحضور جنازته؟

هنالك الكثير من خبراء الشرق الاوسط في طاقم (بوش) ومن بينهم (أيليون ابرامز) في مجلس الامن القومي الذين يميلون إلى معاملة عرفات بما لا يختلف الا قليلاً عن السيد (بن لادن). واذا صارت الغلبة لوجهات نظر هؤلاء فإن مرحلة ما بعد عرفات ستبدأ في الاغلب بدون الاشارة إلى ما يسعى اليه (بلير) كبداية جديدة.

ان بغداد ستكون لها الغلبة على القدس في ضوء احتمال عدم نجاح نقطة للبداية لسلام اقليمي.

ترجمة- كاظم الحلفي
عن - نيويورك تايمز

الخسائر العراقية في الحرب

تزعم دراسة احصائية انّ عدد العراقيين الذين قضوا في الحرب يفوق التوقعات السابقة.

اشار الجيش الامريكي منذ مدة الى انه لا يمتلك سجلا بخسائر العراقيين في النزاع الدائر في العراق، وان تحديد العدد هو امر مستحيل. لا يتفق الجميع مع هذا. اذا تمت اضافة اعداد المدنيين الذين قتلوا حسب تقارير الصحافة سيصل الرقم الى ما يقرب من ١٥٠٠٠, ولكن حتى ان هذا الرقم يبدو اقل من الحقيقة، لانه لا يتم تسجيل جميع الخسائر. والسؤال الان، ما حجم الفرق؟

تشير دراسة نشرت يوم ٢٩ تشرين الأول في مجلة لانسيت البريطانية الطبية، الى ان الخسائر اعلى بكثير مما ذكرته الصحافة. يبلغ معدل توقعات الخسائر- الرقم الاكثر احتمالا طبقا للمعطيات التي تم جمعها والاحصائيات المستخدمة- ١٠٠٠٠٠ . على الرغم من ان حدود المديات واسعة جدا، من ٨٠٠٠ الى ١٩٤٠٠٠، تستنتج الدراسة وبنسبة دقة تبلغ ٩٠٪ ان اكثر من ٤٠٠٠٠ عراقي قد قتلوا.

ان هذا زعم غير طبيعي، و لهذا فهو يحتاج الى دليل غير طبيعي. هل تبدو الطرق التي استخدمت من قبل روبرت وزملائه من جامعة جون هوبكنز مدرسة الصحة العامة، في بالتيمور، كافية لاستخلاص استنتاجات موثوقة؟ ان الاساس الذي استندت اليه الدراسة هو الاساس نفسه الذي يتبع في اجراء استطلاعات الرأي العام: النماذج العشوائية. حتى ان اختيار عدد صغير من الاشخاص عشوائيا من اعداد كبيرة من السكان يسمح بقول اشياء كثيرة عن مجموع السكان. لنفكر في جرة تحتوي على مليون كرة من المرمر، نصفها احمر ونصفها الاخر ازرق. اختر ١٠٠ من تلك الكرات عشوائيا سيكون امرا مستبعدا جدا، جدا بان تكون جميعها حمراً. في الحقيقة، ستكون النتيجة قريبة جدا من ٥٠ من كل منها.

ان افضل طريقة لاخذ النماذج العشوائية هي في انتخاب الاشخاص بشكل مباشر. هذه الطريقة غير ممكنة في العراق لعدم وجود بيانات تعداد سكاني يمكن الاعتماد عليها. لهذا السبب استخدم الدكتور روبرت طريقة تسمى تقنية الثلة، وهي التقنية التي كانت تستخدم بشكل واسع في اوضاع اخرى حيث تكون البيانات الاحصائية غير متوفرة، مثل دراسة المرض الانتقالي في البلدان الفقيرة. تقوم اعمال الثلل على اساس انتخاب عدد من الاحياء عشوائيا- في هذه الحالة ٣٣- و من ثم اجراء مسح على جميع الاشخاص في ذلك الحي. تم انتخاب الاحياء عن طريق اخذ مدن عراقية عشوائيا (أن فرصة اختيار مدينة ما كان تتناسب مع عدد سكانها) ولهذا، في مدينة معينة،يستخدم -GPSوهو نظام التنظيم الدولي- لاختيار حي عشوائيا ضمن المدينة. ابتداء من - GPSاختيار شبكة البداية مرجعاً، ثم زار الباحثون اقرب ٣٠ بيتاً. في كل بيت سأل القائمون بالاستطلاع (جميعهم عراقيون يجيدون العربية والانكليزية، عن حالات الولادة والموت التي حدثت من الاول من كانون الثاني ٢٠٠٢ من بين الاشخاص الذين عاشوا في البيت لمدة تزيد على شهرين. كما سجلوا جنس وعمر كل في كان يسكن البيت. ان وجدوا حالة موت قاموا بتسجيل تاريخ الوفاة، السبب والظروف. و من ثم تم اعداد التقارير بشأن حالات الموت بسبب الحرب عن طريق اجراء المقارنة بين معدلات حالات الموت قبل وبعد ١٨ آذار ,٢٠٠٣ قاموا بمقابلة ما مجموعه ٧٨٦٨ شخصاً من ٩٨٨ بيتاً. ولكن حجم العينة المعينة لعدة إغراض- على سبيل المثال ، قياس لا دقة التحليل-هو ٣٣، هو عدد الثلل. هذا بسبب كون معطيات الأفراد ضمن ثلة معينة مترابطة بشكل كبير. من الناحية الإحصائية، ان الرقم ٣٣ هو عينة صغيرة نسبيا (على الرغم من كونها أفضل ما يمكن الحصول عليه من قبل مجموعة صغيرة من الباحثين في بلد بحالة حرب. وهذا هو سبب وجود مدى واسع بخصوص القيمة المركزية ٩٨٠٠٠ كما يشكل سببا وراء احتمال كون ذلك الرقم خطأ (على الرغم من انه في هذه الحالة فان احتمال ان كون القيمة الحقيقية اعلى من ٩٨٠٠٠ هو نفسه احتمال كونه اوطأ من ذلك). وعلى اية حال، ان هذا لا يعني ، كما ذكر بعض المعلقين على هذا الدراسة، بان الارقام ٨٠٠٠ او ١٩٤٠٠٠ محتملة مثل ٩٨٠٠٠، بل العكس تماما. فكلما ابتعد المرء عن ٩٨٠٠٠، قل احتمال ذلك الرقم. السبب الاخر لاحتمال كون الرقم خطأ هو ان كانت هنالك اخطاء في التحليل، وبالنتيجة يكون التمرين كله غير موثوق. تقول نان ليرد، بروفيسورة الإحصاء البيولوجي من جامعة هارفرد، التي لم تشترك في هذه الدراسة، أنها تعتقد ان كل من طرق التحليل وجمع البيانات التي استخدمها الدكتور روبرت كانت سليمة. وتشير الى احتمال وجود "تحيز الاستذكار" حيث ربما قام الناس بتذكر حالات الوفاة القريبة أكثر لانهم لم يتذكروا الحالات السابقة. ومع ذلك، بما ان معظم الناس لا ينسون وفاة عضو الاسرة، فانها تعتقد ان هذا التأثير سيكون صغيرا. اما ارثر دميستر، وهو بروفيسور الاحصاء من جامعة هارفرد، على الرغم من كونه من قسم غير قسم الدكتورة ليرد، إلا أنه يتفق على ان الطرق المتبعة في كل من التصميم والتحليل هي على مستوى حرفي قياسي. ومع ذلك، فهو يثير مخاوف من ان العنف قد يكون محدوداً جدا في منطقة معينة، فان عينة من ٣٣ مجموعة قد تكون اصغر من ان تمثل الكل. تم التركيز على هذا القلق في حالة واحدة من المجموعات، وقعت القرعة عليها، وهي مدينة الفلوجة التي مزقتها الحرب. لقد وقع الكثير من حالات الموت، والكثير من حالات الموت العنيف في هذه المدينة، اكثر ما وقع في المدن الاخرى. لهذا السبب تم استبعادها من تحليل الباحثين . فالرقم التقريبي ٩٨٠٠٠ قد عمل من دون تضمين معطيات الفلوجة. ولو تم تضمينها لكان الرقم اعلى بكثير. تبين معطيات الفلوجة كيف ان التوزيع المتغير لحالات الموت في الحرب يمكن ان يجعل من الصعب اجراء التخمينات. ولكن سكوت زيكر، رئيس قسم الاحصاء البيولوجي في جون هوبكنز، الذي انجز التحليل الاحصائي للدراسة، يشير الى ان عينات الثلل هي قانون اكثر من كونها استثناء في دراسات الصحة العامة، كما ان طرز الموت التي تسببها الاوبئة متغيرة كثيرا تبعا للمكان.

يمكن ان تكون الدراسة عرضة للنقد وللثناء في الوقت نفسه لحقيقة انها اخذت بنظر الاعتبار الارتفاع العام لحالات الموت، وليس الحالات التي سببتها اعمال العنف فقط. من بين حالات الزيادة في الموت(باستثناء الفلوجة) حسب الدراسة، ما يقرب من ٦٠٪ هي بسبب اعمال العنف المباشرة، في حين تعود بقية الزيادة الى الارتفاع الطفيف في الحوادث، والامراض وموت الرضع. ومع ذلك، فان هذه الارقام ينبغي ان تؤخذ بشيء من التحفظ لانه كلما كانت المعلومات مفصلة- بشأن اسباب الموت، على سبيل المثال، اكثر من الموت بصورة عامة- قلت اهمية المعلومات الاحصائية .

لذلك فان الفرق بين تخمين لانسيت وتقارير الصحافة ليس كبيرا كما يبدو للوهلة الاولى. يتضمن رقم لانسيت مقتل ٦٠٠٠٠ شخص عن طريق العنف، بضمنهم المتمردون، في حين تعطي الصحافة الرقم ١٥٠٠٠ من المدنيين فقط. ومع هذا يشير الدكتور روبرت الى ان تقارير الصحافة هي " نظام مسح سلبي" . لا يذهب الصحفيون بشكل نشيط الى مناطق عشوائية عديدة ويلاحظون من قتل بسبب العنف، ولكنهم ينتظرون وصول التقارير. ويقول الدكتور روبرت ان نظم المسح السلبي تميل الى تقليل ذكر الخسائر. فعلى سبيل المثال، عندما كان مسؤول السياسة الصحية للجنة الإغاثة الدولية في الكونغو، عام ٢٠٠١، وجد ان ٧٪ فقط من حالات الموت بسبب التهاب السحايا في إحدى الموجات قد سجلت من قبل النظام السلبي لـ(.IRC)

الدراسة ليست كاملة. ومع ذلك فانها لا تزعم هذا الشيء. الطريقة امامنا هي في استنساخ دراسة لانسيت بشكل مستقل، وعلى نطاق واسع. زعم جوزيف ستالين في يوم ما ان موت شخص هو مأساة، ولكن موت الملايين هو مجرد عملية إحصائية. لا ينبغي السماح لهذا الاستخفاف بان يسود، بشكل خاص في نزاع يهدد بسقوط المزيد من الضحايا. يبدو ان العراق يمثل حالة حيث يكون المزيد من الإحصائيات مطلوبة إلى حد بعيد.

ترجمة / فاروق السعد
عن / الايكونومست